فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

٥٧٧

معانى الكلمات :

حمرة مستنفرة: حمر وحشية، شديدة النفار .

قسورة : أسد ، أو الرماة القُنُّص .

بنانه : أطراف أصابعه .

ليفجر أمامه : ليدوم على فجوره مده عمره.

برق البصر : دهش وتحير فزعا .

خسف القمر : ذهب ضوؤه .

بصيرة : حجة بينة أو عين بصيرة .

ألقى معاذيره : جاء بكل عذر .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن الله وحده عالم الغيب، فلا أحد يعلم جنوده، وأعداد ملائكته وقوتهم إلا هو.

٢ ـ أن نتعرف على طرف من علامات القيامة .

٣ ـ أن نعلم أن الإنسان مسؤول عما وقع منه ، ولن تقبل الأعذار يوم الحساب .

المحتوى التربوى :

يعقب السياق على الموقف السيئ المهين بقطع كل أمل فى تعديل هذا المصير ، فقد قضى الأمر وحق القول ، وتقرر المصير الذى يليق بالمجرمين المعترفين ، وليس هناك من يشفع للمجرمين أصلا ، وحتى على فرض مالا وجود له فما تنفعهم شفاعة الشافعين ، ويعود بهم السياق إلى ما كانوا عليه فى الدنيا ويرسم لهم صورة مضحكة تثير السخرية والعجب من أمرهم الغريب ، فمشهد حمر الوحش وهى مستنفرة تفر فى كل اتجاه ، حين تسمع زئير الأسد وتخشاه ، وهو مشهد تعرفه العرب ، مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون ، حين يخافون كانوا إنما ينفرون هذا النفار الذى يتحولون من آدميين إلى حمر لا لأنهم خائفون مهددون ، بل لأن مذكرا يذكرهم بربهم وبمصيرهم .

تلك هيئتهم الخارجية ، ثم لا يدعهم حتى يرسم نفوسهم من الداخل ، فالحسد للنبى ﷺ أن يختاره الله ويوحى إليه ، والرغبة الملحة أن ينال كل منهم هذه المنزلة ، وأن يوفى صحفا تنشر على الناس وتعلن ، وعدم خوفهم من الآخرة هو الذى ينأى بهم عن التذكرة ، وينفرهم من الدعوة هذه النفرة ، ولو استشعرت قلوبهم حقيقة الآخرة لكان لهم شأن غير هذا الشأن المريب ، ثم يردعهم مرة أخرى وهو يلقى إليهم بالكلمة الأخيرة ، ويدعهم لما يختارون لأنفسهم من طريق ومصير ، وهذا القرآن الذى يعرضون عن سماعه ، وينفرون كالحمر ، وهم يضمرون فى أنفسهم الجسد لمحمد ﷺ والاستهتار بالآخرة ، إنه تذكرة تنبه وتذكر ، فمن شاء فليذكر ، ومن لم يشأ فهو وشأنه .

وبعد أن يبيت مشيئتهم فى اختيار الطريق يعقب بطلاقة المشيئة الإلهية ، فكل ما يقع فى هذا الوجود ، مشدود إلى المشيئة الكبرى يمضى فى اتجاهها وفى داخل مجالها ، والذكر توفيق من الله ييسره لمن يعلم من حقيقة نفسه أنه يستحق التوفيق ، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فإذا علم من العبد صدق النية وجهه إلى الطاعات ،و العبد لا يعرف ماذا يشاء الله به ، ولكنه يعرف ماذا يريد الله منه ، فهذا مما بينه له ، فإذا صدقت نيته فى النهوض بما كلف أعانه الله ووجهه وفق مشيئته الطليقة ، وهم لا يصادمون بمشيئتهم مشيئة الله ، ولا يتحركون فى اتجاه ؛ إلا بإرادة من الله ، تقدرهم على الحركة والاتجاه ، والله هو أهل أن يخاف منه ، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب .

سورة القيامة

تبدأ السورة بقسمين لا تجيب عليهما ؛ لأن الجواب مفهوم من سياق السورة ، وهذا التلويح بالقسم مع العدول عنه أوقع فى الحس من القسم المباشر ، وحقيقة القيامة سيرد عنها الكثير فى مواضعه فى السورة ، وأما النفس اللوامة فهى نفس المؤمن ، فعن الحسن البصرى : إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه: ماذا أردت بكلمتى؟ ماذا أردت بأكلتى؟ ماذا أردت بحديث نفسى ؟ وإن الفاجر يمضى قدما ما يعاقب نفسه .

وقد كانت المشكلة الشعورية عند المشركين هى صعوبة تصورهم لجمع العظام البالية الذاهبة فى التراب لإعادة بعث الإنسان حيا ، والقرآن يرد على هذا الحسبان بعدم جمع العظام مؤكداً وقوعه والنص يؤكد عملية جمع العظام بما هو أرقى من مجرد جمعها وهو تسوية البنان وتركيبه فى موضعه كما كان ، وهى كناية عن إعادة التكوين الإنسانى بأدق ما فيه ، ويكشف عن العلة النفسية فى هذا الحسبان ، وتوقع عدم جمع العظام ، فهذا الإنسان يريد أن يفجر ويمضى قدما فى الفجور ، ولا يريد أن يصده شىء عن فجوره ، ولا أن يكون هناك حساب عليه وعقاب ، ومن ثم فهو يستبعد وقوع البعث ، ويستبعد مجىء يوم القيامة .

ومن ثم كان الجواب على التهكم بيوم القيامة واستبعاد موعدها سريعا خاطفا حاسما ليس فيه تريث ولا إبطاء ، وكان مشهداً من مشاهد القيامة تشترك فيه الحواس والمشاعر الإنسانية ، والمشاهد الكونية ؛ فالبصر يخطف ويتقلب سريعا سريعا تقلب البرق وخطفه ، والقمر يخسف ويطمس نوره ، والشمس تقترن بالقمر بعد افتراق ويختل نظامها الفلكى المعهود ، وفى وسط هذا الذعر والانقلاب يتساءل الإنسان المرعوب : أين المفر ؟ ويبدو فى سؤاله الارتياع والفزع ، وكأنما ينظر فى كل اتجاه ، فإذا هو مسدود دونه مأخوذ عليه ، ولا ملجأ ولا وقاية ولا مفر من قهر الله وأخذه، والرجعة إليه ، والمستقر عنده ولا مستقر غيره .

وما كان يرغب فيه الإنسان من المضى فى الفجور بلا حساب ولا جزاء لن يكون يومئذ ، بل سيكون كل ما كسبه محسوبا وسيذكر به إن كان نسيه ويؤخذ به بعد أن يذكره ويراه حاضراً بما قدمه من عمل قبل وفاته ، وبما أخره وراءه من آثار هذا العمل خيراً كان أو شراً ، فمن الأعمال ما يخلف وراءه آثاراً تضاف لصاحبها فى ختام الحساب ، ومهما اعتذر الإنسان بشتى المعاذير عما وقع منه ، فلن يقبل منها عذر ؛ لأن نفسه موكولة إليه ، وهو موكل بها ، وعليه أن يهديها إلى الخير ويقودها ، فإذا انتهى بها إلى الشر فهو مكلف بها وحجة عليها ، وكذلك عملية الحساب يخبر الإنسان بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها .

ثم تجىء الآيات الأربع الخاصة بتوجيه الرسول ﷺ فى شأن الوحى وتلقى هذا القرآن إذا كان الرسول ﷺ يخاف أن ينسى شيئا ما يوحى إليه ، فكان حرصه على التعوذ من النسيان يدفعه إلى استذكار الوحى فقرة فقرة فى أثناء تلقيه ، وتحريك لسانه به ، ليستوثق من حفظه ، فجاءه هذا التعليم ليطمئنه إلى أن أمر هذا الوحى وحفظ هذا القرآن وجمعه وبيان مقاصده كل أولئك موكول إلى صاحبه ودوره هو ، هو التلقى والبلاغ ، فليطمئن بالا وليتلق الوحى كاملا فيجده فى صدره منقوشا ثابتا ، والإيحاء الذى تتركه فى النفس هو تكفل الله المطلق بشأن هذا القرآن . وحيا وحفظا وجمعا وبيانا ، وإسناده إليه سبحانه وتعالى بكليته ، ليس للرسول ﷺ من أمره إلا حمله وتبليغه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ الذكر توفيق من الله ييسره لمن يعلم من حقيقة نفسه أنه يستحق التوفيق .

٢ ـ القيامة حق ، وعندما تقوم سيصاب الناس بشدة الفزع ، بل يكون الإنسان على نفسها شاهداً .

٣ ـ على الإنسان أن يهدى نفسه إلى الخير ويقودها ، فإذا انتهى بها إلى الشر فهو مكلف بها وحجة عليها .

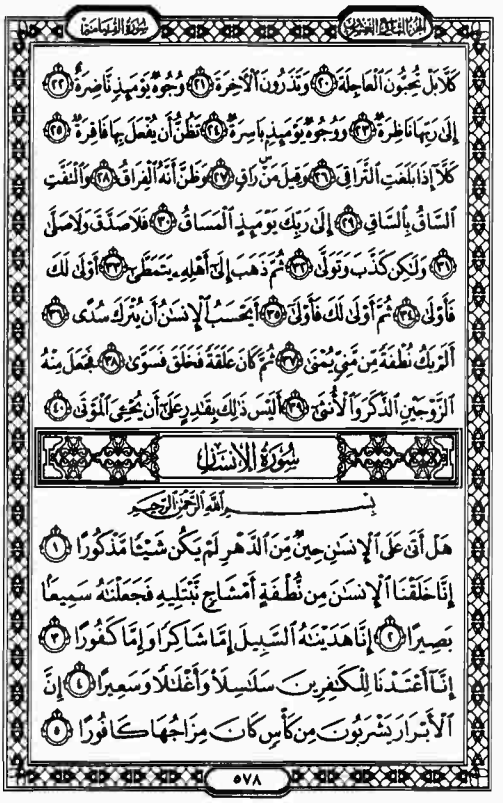

كلا بل تحبون العاجلة (٢٠) وتذرون الآخرة (٢١) وجوه يومئذ ناضرة (٢٢)
إلى ربها ناظرة (٢٣) ووجوه يومئذ باسرة (٢٤) تظن أن يفعل بها فاقرة (٢٥)
كلا إذا بلغت التراقي (٢٦) وقيل من راق (٢٧) وظن أنه الفراق (٢٨) والتفت
الساق بالساق (٢٩) إلى ربك يومئذ المساق (٣٠) فلا صدق ولا صلى
(٣١) ولكن كذب وتولى (٣٢) ثم ذهب إلى أهله يتمطى (٣٣) أولى لك
فأولى (٣٤) ثم أولى لك فأولى (٣٥) أيحسب الإنسان أن يترك سدى (٣٦)
ألم يك نطفة من مني يمنى (٣٧) ثم كان علقة فخلق فسوى (٣٨) فجعل منه
الزوجين الذكر والأنثى (٣٩) أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى (٤٠)

سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا (١)
إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا
بصيرا (٢) إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا (٣)
إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا (٤) إن
الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا (٥)

معانى الكلمات :

ناضرة : حسنة مشرقة متهللة .

باسرة : كالحة عابسة .

فاقرة : داهية تقسم فقار الظهر .

التراقى : أعالى الصدر .

التفت : التصقت .

أمشاج : أخلاط ممتزجة متباينة الصفات .

نبتليه : نختبره .

مزاجها : ما تمزج الكأس به وتخلط .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر حالة الإنسان قرب الموت فى ساعات الاحتضار .

٢ ـ أن نعلم أن تقديرالله فى نشأة الإنسان على أساس الابتلاء .

٣ ـ أن نعلم عاقبة الكفر ، وسوء مصير الكافر .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فى عرض مشاهد القيامة ، وما يكون فيها من شأن النفس اللوامة ، فيذكرهم بحقيقة نفوس وما يعتلج فيها من حب للدنيا وانشغال ، ومن إهمال للآخرة وقلة احتفال ، ويواجههم بموقفهم فى الآخرة بعد هذا وما ينتهى إليه حالهم فيها ، وأول ما يلحظ تسمية الدنيا بالعاجلة فضلا عن إيحاء اللفظ بقصر هذه الحياة وسرعة انقضائها ، ويشير النص إلى حالة تعجز الكلمات عن تصويرها كما يعجز الإدراك عن تصورها بكل حقيقتها ، ذلك حين بعد الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبها حالة ، حتى لتتضاءل إلى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان النعيم .

هذه الوجوه الناضرة ، نضرها أنها إلى ربها ناظرة ، إلى ربها ! فأى مستوى من الرفعة هذا ؟ أى مستوى من السعادة ؟ إن روح الإنسان لتستمتع أحيانا بلمحة من جمال الإبداع الإلهى فى الكون أو النفس ، تراها فى الليلة القمراء أو الليل الساجى أو الفجر الوليد ، أو الظل المديد ، أو الإيمان الواثق ، أو الصبر الجميل ؛ فتغمرها النشوة ، وتفيض بالسعادة ، وترف بأجنحة من نور فى عوامل مجنحة طليقة ، وتتوارى عنها أشواك الحياة ، وما فيها من ألم وقبح ، وصراع شهوات وأهواء ، فكيف ؟ كيف بها وهى تنظره لا إلى جمال صنع الله ، ولكن إلى جمال ذات الله ؟ ألا إنه مقام يحتاج أولًا إلى مدد من الله ، ويحتاج ثانيا إلى تثبيت من الله ؛ ليملك الإنسان نفسه فيثبت ليستمتع بالسعادة التى لا يحيط بها وصف ولا يتصور حقيقتها إدراك ؛ والوجوه حسنة بهية مشرقة مسرورة وهى إلى جمال ربها تنظر .

أما وجوه الفجار فهى وجوه كالحة متقبضة تعيسة ، محجوبة عن النظر والتطلع بخطاباها وانطماسها ، وهى التى يشغلها ويجزئها ويخلع عليها الكلوحة توقعها أن تحل بها الكارثة القاصمة للظهر المحطمة للفقار ، ويذكر السياق مشهد الموت ، الموت الذى ينتهى إليه كل حى ، والذى لا يدفعه عن نفسه ولا عن غيره حى ، الموت الذى يفرق الأحبة ويمضى هى طريقه لا يتوقف ، ولا يتلفت لصرخة ملهوف ، ولا لحسرة مفارق ، ولا لرغبة راغب ولا لخوف خائف ، وحين تبلغ الروح التراقى يكون النزع الأخير ، وتلوى المكروب من السكرات والنزع ، ويتلفت الحاضرون حول المحتضر يتلمسون حيلة أو وسيلة لاستنفاذ الروح المركوب ، وقيل : هل من راق يرقى ، أو طيب يشفى ؟ وتعجز كل وسيلة ، ويتبين الطريق الواحد الذى يساق إليه كل حى فى نهاية المطاف وأن إلى ربك المرجع والمآب .

وفى مواجهة المشهد المكروب يأتى الإخبار عن الكافر الذى كان فى الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه ، متوليا عن العمل بقالبه ، فلا خير فيه باطنا ولا ظاهراً ، ولا همة له ولا عمل ، ويتفنن فى الصد عن سبيل الله ، والأذى للدعاة ، ويمكر مكر السيئ ، ويتولى وهو فخور بما أوقع من الشر والسوء ، وبما أفسد فى الأرض ، وبما صد عن سبيل الله ، ويأتى التهديد والوعيد الأكيد من الله ـ تعالى ـ للكافر به المبختر فى مشية ، أى يحق لك أن تمشى هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، وهذا على سبيل التهكم والتهديد ، والإنسان ليس يترك فى هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك فى قبره سدى لا يبعث ، بل هو مأمور منهى فى الدنيا ، محشور إلى الله فى الدار الآخرة، وفى غير تعقيد ولا غموض يأتى بالدلائل الواقعة البسيطة التى تشهد بأن الإنسان لن يترك سدى ، إنها دلائل نشأته الأولى ؛ فما هذاالإنسان ؟ مم خلق ؟ وكيف كان ؟ وكيف صار ؟ وكيف قطع رحلته الكبيرة حتى جاء إلى هذا الكوكب ؟ فما كان الإنسان إلا نطفة ضعيفة من ماء مهين يراق فى الأرحام فصار علقة ، ثم مضغة ، ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا سويا سليم الأعضاء ذكرًا أو أنثى بإذن الله وتقديره ، والذى قدر هذا الخلق السوى من نطفة ضعيفة أليس بقادر على أن يعيده كما بدأه ؟! سبحانك ، فبلى .